

مديحُ الرَّسَمَادِ



(1) ضوءٌ ثقيلٌ يندلقُ كاللَّـيْلِ خانقًا طيفه في سدولِ شذوهِ الدُّفءِ أعراسًا من
جمرةِ شَطَايا الخيبةِ برؤيا العتمِ أَسَدَلْ وخزِ القشرةِ وسرَّحْ أَخيلتي الرَّسَمَاءَ
بالأَسودِ الشَّفَافِ منْ ظمأٍ يَرْمِي رَبيعِي فِي قبورِ الأَثِيرِ بتراتيلِ قرمزٍ سَـةٍ . (2)
هَذَا السَّحَرُ المرتابُ منْ جليدِ الصَّمتِ يشحُّ جراحِ الخلوِ وقبورِ الماءِ منْ
أَرَقَةٍ الأَوَراقِ حفيفًا عنْ آخِرِهِ لِكُلِّ العابرينِ أَوِ الغرباءِ فِي الهمسِ نسيمًا
ليلملمَ حوريَّةَ كَفَّيْ منِ الصَّيَاحِ إِلَى التَّشْرِيدِ السَّذِي يرقُبنا سباتًا..
سباتًا بنسيمِ الهواءِ السَّذِي يخلخلُ العلامةَ والأُفُقَ فِي أَحْشاءِ الحِجَارَةِ كُلِّ نَزيفٍ
واحتراقٍ يعودُ أَصِيلًا للأَشْيَاءِ الباليةِ فَأَصِيرُ فِي مَدَنِي مَسَامٍ هَتَكِي المَخْمُورِ منْ
رَمَالٍ إِلَى جَحِيمٍ مِثْلَ الدُّجَى المترنِّجِ فِي القِوَامِ المَشْرِدِ فِي الرِّيحِ كَـ
الرَّسَمِ اِدِر (3) مَا بَيْنَ العِتمَةِ والصَّوَاءِ يطلُّ خريفُهُ وشاحًا مرصَّعًا بالغربةِ
والمرارةِ ينبذُ غسقًا بروحي نبذُ المارَّةِ بأَصْقَاعِ الصَّوْتِ السَّـرْمَدِيِّ فِي
البهاءِ وَفِي الجِدَارِ المائلِ فِي الخفاءِ تولدُ الجَمْرَةُ منْ نَقْطَةِ المَاءِ بالثَّـبِجِـ

الخصبِ على تخومِ الذِّهَايةِ لغوًا مسرحيًا سلاسلَ منَ الوقتِ تنتظرُ كالغابةِ أَقْصاصُ
الأجنحةِ . (4) المشهدُ القاتمُ المنهلُّ بالعتبةِ نشوةُ الفقراءِ حداهُ تشعُّ خيوطًا
إلى نطاقهِ الزَّرائعِ .. شاحبٌ في تيههِ في وجهِ الهواءِ رنيدًا يسقطُ الصَّقيعُ
فوهةً كالذَّلجِ تجرُّ معها صدرُ الذِّملِّ أو تبيدُ .. تجيءُ منَ الفراغِ
وأُ نشودُها الخاسرةُ تقتلعُ العطشَ بالوقتِ منَ مهبِّ الرُّدهاتِ وكلُّ خلوةٍ تهرمُ
بعمقِ الصَّوتِ في نواحِ الصَّوِّءِ أَسْجافًا وارفَةً بأروقتها الوهَّاجةِ . (5)
الفقراءُ القَتلى الذين مرُّوا بالحبْلِ على طينٍ وعتابةٍ يحملونُ المدارَ البعيدَ
في همسةِ الفخاخِ نحوَ رصاصِ فاتحٍ ينتظرُ الهاويةَ في لوعةِ الخسارةِ فطويتُ البابَ
قليلاً منَ حدِّةِ الدُّوارِ أو الذُّزولِ رغيلاً زهراً لأَتَقَمَّ صَ الظلِّ ولادةً طاعنةً
(6) الأصدافُ الشَّاحبةُ ذاتُ الحمَّى اللِّيلكيةِ رخامُ الرِّيحِ بجحيمِ الصَّاعقةِ
تأبَّطتُ وجهه المختمرُ أسلحة ناصية في صورةِ نَفْسي خلجان دمائه بعدَ الزَّيفِ الأوَّلِ
بالخطوِ المبرحِ تحتَ الرِّحْقِ المسفوحِ زمرةِ الصَّخرِ المستبدِ وأمضي محوًا بالحرقةِ
بينَ الكائناتِ الذَّاريَّةِ حتَّى أقبِرَ الأشياءَ رمادًا لا ماءً .. (7) كلُّ
الأنفاسِ الخاملةِ بحطامهِ تطلقُ الرِّصاصَ بالرَّمادِ في أُبَّهةِ الجراحِ ما بينَ
الحكايا والحكايا بعيونِ العبورِ يورقُ الآنين بنورِ الرِّشقِ وصخبِ الدَّمارِ
وصقيعِ خمرتهِ حتَّى يغزلَ سديمَ الدَّمِ نُجيمتي ويكشفَ اللَّيْلُ عنَ فَجِيعتي في
استدارةِ مجهولةٍ وقبوةٍ منفوخٍ تفرشُ الحقائقُ غيمةً بصَّلاتي أُمومةَ المارِّينَ بعيدًا
عنَ شَطَايا الخريفِ هكذا أُنْبِذُ القادمينَ في اللَّغْوِ في العراءِ . (8) سُنُونُو
يرتجفُ صخبًا منَ حدِّةِ الموتِ تَروي الملائكةُ ظلالًا ويغزلُ الوجعُ سهادًا أَسودَ في
مقبرةِ الجرذانِ وفي المناديلِ المجففةِ بالرعبِ رنيدًا كالْفداحةِ يَرنو في الهتكِ
الأوَّلِ بريحِ بَسْمَلتي .. (9) شعبًا منَ الفَوْضِ يتكاثرُ أَكْفانًا .. أَكْفانًا إِذْ
ينفجرُ كالقتلِ تحتَ دمعِ المسافاتِ على مرِّ الحالاتِ الميكانيكيَّةِ منَ صمتٍ إلى
صمتٍ تبوحُ الأَعْضاءُ بهزيعِها: إنا نركبُ الأخطاءَ فخابُ الغبارِ كالموجِ خوفُ لا
يبيدُ السَّكينةَ منَ الخديعةِ يقتلُ الكلامُ نرفًا بَيْننا بقايا الحصارِ الحابلِ مثلَ
الفراقِ .. (10) هيَ في الفقدِ شمعةٌ في اصفرارِ الأَسودِ بخريفِ الرَّمْلِ وصحوةِ
العتمةِ على أَطِيفِ الأَجْسَادِ المطرِّزةِ بالمغيبِ والغبارِ منَ حدِّةِ الإِشراقِ ..
(11) العزلةُ جسمٌ نابضٌ بالموتِ والوقتِ والدَّمارِ ينفخُ أَجَنحتَه كالأَفلاكِ وعابرُ
التَّراتيلِ كوخِ الذَّمارِ المشرعِ بصفاءِ الضَّبابِ الغاضِبِ رصاصًا سرمدِيًّا كَفَّ نَوهُ
بالضَّباعِ تحتَ بهاءِ الطُّوفانِ ومتاهاتِ الانكسارِ .. (12) يَها هالكًا في الرَّغبةِ
يَها حالمًا بالسَّطوِ يَها مرتجلًا في المحنِ هلْ يشقُّ الحُضِيضُ زرقَتَه حُسدًا للعفنِ؟

(13) وَحَدَّهَا الرِّيحُ تَجِيءُ مِنْ اللَّيْلِ لَا عَقَارِبُ الْوَقْتِ لِيَكُونَ الْمَوْتُ رَجْفَةً
وَلتكونَ المقابرُ دمًا يعطشُ الفقراءُ بينَ الرِّيحِ وَالذَّهَارِ.